مقدمة

إن حرب الاستنزاف، وحرب اليوم الكبير* ومذبحة ميونخ، وأيلول الأسود، والحرب اللبنانية، والجدل الدائر حول المستوطنات اليهودية ومستقبل القدس، واتفاقات كامب ديفيد، واتفاقيات أوسلو والانتفاضة كلها من نتائج ستة أيام عصيبة من شهر يونيو من العام ١٩٦٧ في الشرق الأوسط. من النادر في العصر الحديث أن يسفر صراع محلي قصير جداً كهذا عن نتائج كونية مديدة. ونادراً ما استحوذ حدث واحد وما تفرع عنه على انتباه العالم واحتفظ باهتمامه به كهذا الحدث. وبالمعنى الحقيقي لدى رجال الدولة والدبلوماسيين والجنود، فإن هذه الحرب لم تنته بعد. بل إنها في نظر المؤرخين قد بدأت من تَوّها.

أُلِّفت كتبٌ عديدة حول ما يسمى في معظم أنحاء العالم بحرب الأيام الستة، أو كما يفضل العرب تسميتها بحرب يونيو (حزيران) للعام ١٩٦٧. فالأدب واسع لأن الموضوع مثير جداً -كان الحدث فيه خاطفاً كالبرق، وألقى بظلاله على العالم، واتسمت أرض المعركة بالقدسيّة لدى الملايين من الناس. كان هناك وراء آليات المشهد والتحركات التكتيكية الجريئة أبطال وأوغاد. وكان هناك خطر نشوب حرب نووية. وما إن توقف إطلاق النار حتى أخذت التحليلات والأوصاف الأولى تظهر - وفي غالبيتها عن شهود عيان. ولسوف يتبعها مئات أخرى.

أريد لبعض هذه الكتب أن تخاطب الطلبة والدارسين، وأريد لبعضها أن تخاطب الجمهور العام. وكلها كانت مبنية على مصادر متماثلة: على كتب صدرت سابقاً، ومقالات، وصحف، بالإضافة إلى مقابلات متناثرة، أغلبها باللغة الإنكليزية، وركزت

---

* هكذا يسمونها في إسرائيل، وتسمى في سوريا (حرب تشرين) وفي مصر (حرب أكتوبر) وتُسمَّى كذلك بـ (حرب رمضان).

أكثرية الكتب على الطور العسكري من الحرب، من ذلك كتاب تريفور ن. دوبيه (TREVOR N. DUPUY) بعنوان «النصر الخادع» وكتاب «السيف السريع» لمؤلفه س. ل. أ. مارشال (MARSHALL. A. L. S) وتعاملت بصورة سطحية فقط مع وجهيها السياسي والاستراتيجي. كما أن المؤلفين كانوا منحازين إما للعرب أو للإسرائيليين. ولم يظهر كتاب يعتمد على جميع المصادر المعلنة والمصنفة في الأرشيفات وبمختلف اللغات؛ العربية والعبرية والروسية. ولم تظهر دراسة واحدة تفحّصت الجوانب السياسية والعسكرية للحرب بأسلوب يسعى جاهداً كي يكون البحث متوازناً.

بدأ التحول في تسعينيات القرن العشرين عندما أفرج عن الوثائق السرية الدبلوماسية من الأرشيف الأمريكي أولاً، ومن ثم من أرشيف بريطانيا العظمى، وإسرائيل. وأسفر سقوط الاتحاد السوفياتي، وتخفيف القيود على الصحافة في مصر والأردن عن ظهور نصوص هامة ما كان لها أن تظهر قبل ذلك. ورد العديد من هذه المصادر الجديدة في كتابين أكاديميين رائعين هما كتاب: «سياسات سوء الحسابات في الشرق الأوسط» لريتشارد ب. باركر (RICHARD B. PARKER) وكتاب «عملية السلام» لوليام ب قواند (WILLIAM B.QUANDT) إذ قدم هذا الكتابان للقارئ، ولأول مرَّة، لمحة عن الدبلوماسية المعقدة المحيطة بالحرب، وعن دخائل إدارة المحنة العالمية. كما حقق هذان الكاتبان درجة من الحيادية والتجرد العلمي لم يسبقهما أحد إليه في أية دراسة لحرب العام ١٩٦٧؛ إنه ابتعاد منعش عن الانحيازية السابقة.

وما زلنا نفتقر إلى كتاب شامل عن الحرب، كتابٍ يعتمد على آلاف الوثائق المفرج عنها منذ ظهور كتابي قواند (QUANDT) وباركر (PARKER)، كتاب يعتمد على الثروة المتوافرة الآن باللغات الأجنبية، وعلى مقابلات في جميع البلدان التي انخرطت في الحرب. ومازلنا بحاجة إلى دراسة متوازنة لوجهي الحرب السياسي والعسكري، وللأدوار العالمية والإقليمية والأبعاد المحلية ذات الصلة بالحرب، كتاب يخاطب الدارسين ولكنه سهل المنال لدى دائرة أوسع من القراء. وهذا هو الكتاب الذي شرعت في تأليفه.

العمل شاق بلا ريب، ليس بسبب سعة البحث فحسب، بل أيضاً للطبيعة الجدلية الراديكالية التي تتسم بها السياسات العربية الإسرائيلية. تغدو الحروب الكبرى في التاريخ حروباً تاريخية كبرى؛ ولا تشذ الحروب الإسرائيلية العربية عن هذه القاعدة. فمنذ عقود والمؤرخون يختصمون في تفسير تلك الحروب. بدءاً من حرب الاستقلال، أو حرب الـ ١٩٤٨ الفلسطينية، حتى أزمة السويس في العام ١٩٥٦. ولقد سعى حديثاً، فوج من المؤرخين التنقيحيين الجدد، على الأغلب في إسرائيل، لتضخيم إثم إسرائيل في تلك الصدامات وإظهاره في الجدل الدائر حول الحدود، وحتى حول شرعية الدولة اليهودية ذاتها. ويزداد الجدل حدة الآن بفضل تركيز المؤرخين على حرب الـ ١٩٦٧ واحتلال مناطق عربية من قبل إسرائيل ومنها الجولان والضفة الغربية اللتان مازالتا ترزحان تحت الاحتلال واللتان ستتأثر حياة الملايين بنتيجة حسم الأمر فيهما.

وكنت أنا كذلك جزءاً من الجدل وكانت لي آرائي. ومع ذلك، لدى كتابة التاريخ، أرى أن هذه المفاهيم المسبقة تشكل عقبة لا بد من اجتيازها بدلاً من أن تكون قناعات تؤكد رأياً أو تغنيه. حتى لو كان من المستحيل تأكيد حقيقة تأكيداً كاملاً، فإن أي جهد يبذل يجب أن يكون في اتجاه البحث عن الحقيقة. وعلى الرغم من أن ثلاثة عقود من الزمن تشكل منظوراً تاريخيا لا يُثّمَّن، فإنه لا ينبغي لوجهات نظر كهذه أن تشوش فهمنا لمظهر العالم في نظر الذين عاصروا تلك الأيام المضطربة. فلْنستخدم الفهم المتأخر للوقائع، متذكرين أن قرارات الموت والحياة يصنعها الزعماء في الزمن الواقعي، وليس المؤرخون بالمنظور الارتجاعي.

لا أقصد إثبات عدالة فريق أو آخر في الحرب، ولا تعيين الملوم عن نشوبها. بل أريد ببساطة ـ أن أبين البيئة التي انطلقت منها الحرب والمحفزات التي سرّعت حدوثها. وبفضل استخدام حرب ١٩٦٩ مثالاً، أتطلع إلى استكشاف طبيعة الأزمات

العالمية عموماً، والأسلوب الذي يجعل التفاعل البشري يولد نتائج غير مرئية وغير مقصودة. وأكثر ما أصبو إليه هو إعادة الحياة إلى الشرق الأوسط في ستينيات القرن العشرين وبعث الحياة في الشخصيات الخارقة التي شكلته، وتنشيط فترة تاريخية لها تأثيرها العميق علينا جميعاً. وسواء أطلق عليها حرب الأيام الستة، أو حرب يونيو (حزيزان)، فإن هدفي هو ألا نراها ثانية بالطريقة ذاتها.

(القدس، ٢٠٠٢).